

ذكریات عن

مدينة خميس مشيط

(١٣٨٦ - ١٤٠٠ هـ / ١٩٦٦ - ١٩٨٠ م)

أ. محمد بن أحمد بن معبر

(* دراسة منشورة في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لغيثان بن

جريس، (الطبعة الأولى) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٣٥ هـ /

٢٠١٤ م)، (الجزء السادس) ص ص ٢٧٩ - ٣٠٢ .

الصفحة الثالثة:

ذكريات عن مدينة خميس مشيط

(١٣٨٦ - ١٤٠٠ هـ / ١٩٦٦ - ١٩٨٠ م).

بقلم أ. محمد بن أحمد بن معبر^(١).

رقم الصفحة	الموضوع	م
٢٨٠	مدخل:	أولاً: -
٢٨٠	الذكريات	ثانياً: -
٢٨٠	١- مقدمة	
٢٨١	٢- العلاقات الاجتماعية	
٢٨٤	٣- المساجد	
٢٨٦	٤- العمران	
٢٨٨	٥- التعليم	
٢٩٠	٦- الملابس وأدوات الزينة	
٢٩٠	٧- وسائل النقل	
٢٩٢	٨- المكتبات	
٢٩٤	٩- الرياضة والألعاب الشعبية	
٢٩٦	١٠- الأسواق والتسوق	
٢٩٧	١١- تربية الماشية	
٢٩٨	١٢- المتزهات	
٢٩٩	١٣- الإدارات الحكومية	
٣٠٠	١٤- الإنارة والكهرباء	
٣٠١	١٥- المياه	
٣٠٢	رأي وتعليق	ثالثاً: -

(١) للمزيد عن الأستاذ محمد بن معبر ، انظر: غيثان بن جريس .القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير ،

وجازان ، والقنفذة) الرياض : مطابع الحميضي ١٤٣٢هـ / ٢٠١٢م). ج ٤ ، ص ١٦٥ .

أولاً : مدخل :

الذكريات والمذكرات من المصادر الهامة في علم التاريخ الحديث والمعاصر، ويجب على من يدون مذكراته أن يتوخى الدقة في الرصد والتذكر. وهذا المحور من مدونات باحث عرف بجده واجتهاده في خدمة الكلمة ، كما أنه محقق حصيف فلا يكتب إلا ما هو متأكد من صحته، وكم نحن في حاجة إلى باحثين صادقين منصفين أمثاله. وكونه عاش في مدينة خميس مشيط الشهرانية منذ العقد الثامن في القرن (١٤هـ/٢٠م)^(١) ، فهو يتذكر ويدون ما عرفه وشاهده في تلك الحاضرة خلال خمس عشرة سنة من نهاية ذلك القرن (١٣٨٦-١٤٠٠هـ / ١٩٦٦-١٩٨٠م)^(٢). وسنورد ما وصلنا من صاحب هذه الصفحات ، وإذا كان لنا تعليق على ما ذكره فسوف نذكره في الحاشية ، ونذكر في نهاية كل شرح أو تعليق مصطلح (ابن جريس) حتى نفرق بين ما دوننا وما دونه صاحب المشاركة الرئيسة .

ثانياً : الذكريات^(٣) :**١- مقدمة :**

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، ﷺ ، وبعد: فلا يمل الدكتور غيثان بن علي بن جريس من الإلحاح والمطالبة بتدوين الذكريات عن تاريخ منطقة عسير^(٤) ، ولهذا كانت الصفحات التالية استجابة له ، وقد اخترت مدينة خميس مشيط

(١) مدينة خميس مشيط أو بلاد شهران العريضة . بحاجة إلى دراسة علمية موثقة خلال العصر الحديث ، ونأمل أن نرى أحد طلابنا في برنامج الدراسات العليا فيتحدها موضوعاً لأطروحته في درجة الماجستير أو الدكتوراه ، وهي فعلاً جديرة بذلك . (ابن جريس) .

(٢) الفترة التي أشار إليها ابن معبر في هذه الورقات جديرة بالبحث والدراسة وتستحق أن تكون عنواناً لرسالة ماجستير . (ابن جريس) .

(٣) انظر العنوان الرئيس لهذه الصفحات (ابن جريس) .

(٤) خلال العشرين سنة الماضية تم استكتاب عشرات الأشخاص ، ومن ثم أصبح عندنا مدونات عديدة في جوانب متنوعة ونأمل أن ننظر فيها مستقبلاً ونختار ما نراه صالحاً للطباعة والنشر (ابن جريس) .

لتكون مسرحاً لهذه الذكريات المختصرة^(١)، وسميتها : ذكريات عن مدينة خميس مشيط (١٣٨٦-١٤٠٠هـ/١٩٦٦-١٩٨٠م) ، وأمل أن تقوى الهمة على زيادة التفصيل مستقبلاً، فقد جاءت هذه الذكريات مختصرة ، وربما فيها من الأخطاء ما لا يسلم منه إنسان يدون من الذاكرة ، وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد . (محمد بن أحمد مُعَبَّر ١٤٣٤/٤/١٥هـ) .

٢. العلاقات الاجتماعية :

بعد سنة (١٣٧٠هـ/١٩٥٠م) تقريباً بدأت القرى في خميس مشيط في التحول من المجتمع القروي إلى المجتمع المدني ، فأصبح بعضها في حيز المدينة مثل: (الدرب ، قنبر ، آل قصّال، الهميلة ، عرق أبو ملحّة)^(٢)، وأخذت المباني الشعبية المبنية من الطوب تملأ الفراغات بين هذه القرى لِتُكوّن أحياء جديدة ، وظهرت الشوارع التي لا يزيد عرضها عن عشرة أمتار، ومع هذا التحول فإن الحياة الاجتماعية تحمل صفات المجتمع القروي في بعض الصور الاجتماعية، ويتجلى ذلك في التعاون بين أهل الحي أو الشارع الواحد ، فعندما تُقام وليمة في أحد منازل الحي أو الشارع ، فإن أهل ذلك المنزل لا يحشون من نقص في الأدوات المنزلية كالقدور والصحون وفناجين القهوة والشاي وغير ذلك ، إذ يتجهون إلى جيرانهم فيكملون ما نقص من ذلك بالاستعارة ، بل إن هذا الإجراء يُعدّ من الواجبات على الجيران في إطار التكامل والتعاون^(٣). وهذه خصيصة فقدتها مدينة خميس مشيط بعد سنة (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) فقد اتجه أصحاب كل منزل إلى ملء منازلهم بالأدوات المنزلية التي لا يستخدم

(١) نرجو من الأستاذ ابن معير أن يواصل في تدوين ذكرياته عما عرف من مناطق جنوبي المملكة ، فهناك قرى وحواضر في بلاد قحطان جديرة بالبحث وتدوين ما جرى عليها خلال العقود الماضية المتأخرة . (ابن جريس).

(٢) للمزيد عن جغرافية مدينة خميس مشيط انظر: غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير والقنفذة) (الرياض: مطابع الحميضي - ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ، ج ٢ ، ص ٢٥ وما بعدها. (ابن جريس).

(٣) تاريخ عسير أو مدينة خميس مشيط خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) جدير بالبحث والدراسة ويستحق إلى أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية . (ابن جريس).

بعضها إلا نادراً، وهناك صورة أخرى لا تقل عن السابقة في الدلالة على الترابط والتكافل ، فلا تُقام وليمة لضيف أو مجموعة من الضيوف إلا ويُدعى الجيران ، ولا زالت هذه الصورة موجودة ولكنها في نطاق ضيق جداً ، بل معدومة في أحيان كثيرة ، حتى الطعام حين انتهاء الضيوف ومن حضر من الأكل ، فإن القِيَمَة على المنزل تعتمد إلى بقية الطعام ، وتقوم بتوزيعه على الجيران ، ولا يجد الجيران في ذلك غضاضة، بل يفرحون بذلك، وبعضهم لا يُعد طعاماً ، فهم ينتظرون هذه الهدية على أحر من الجمر^(١) .

وكانت الزيارات المتبادلة قائمة على قدم وساق ، سواءً في مجتمع الرجال أم مجتمع النساء ، مع عدم المبالغة في الشراب أو الطعام ، فالقهوة والشاي عماد الضيافة ، وإن زاد شيء فهو التمر ، ولا شيء سوى ذلك إلا نادراً ، أما إذا كانت الزيارة تشتمل على تقديم الطعام فمن ميسور البيت وموجوده . وكانت الهدايا من ضمن الصور الاجتماعية السائدة ، ولكنها بعيدة عن التكلف ، فتكون مما تيسر من طعام أو ملابس وغيرها ، تزرع الألفة دون إتقال على أي طرف^(٢) . أما العلاقات الاجتماعية فحدث ولا حرج ، فالصغير يحترم الكبير والكبير يعطف على الصغير ، فسكان الحي أو الشارع كأسرة واحدة ، فلا غضاضة أو أي لوم على رجل ينصح أو يؤدب أو يولد جاره ، وكلهم — في الغالب — يحرصون على الأخلاق الفاضلة ويحاربون الأخلاق السيئة^(٣) . حتى طالب المدرسة إذا رأى المدرس في شارع فإنه

(١) هذه العادات عرفناها في عموم جنوبي البلاد السعودية ، واليوم أصبحت أثراً بعد عين ، والسبب يعود إلى غنى الناس ، ووجود المال والخير الوفير عند عموم سكان البلاد السعودية . ويجب على الجميع الشكر على ما أنعم الله به عز وجل . (ابن جريس) .

(٢) حبذا أن نرى واحداً من طلابنا في برنامج الدراسات العليا بجامعة الملك خالد فيتحذ تاريخ عسير الاجتماعي خلال القرن (١٤٠٤هـ / ٢٠٠٣م) موضوعاً لرسالته في الدكتوراه أو الماجستير .

(٣) من يقارن عادات وأعراف التقدير والاحترام في الماضي والحاضر فسوف يجد اليون شاسعاً ، ففي السابق كانت نسبة التقدير عند الصغير والكبير عالية ، أما اليوم فقد اختلت الموازين وأصبح كثير من الشباب وصغار السن لا يقدرون الكبير ، وهناك نسبة تفكك عالية في باب الترابط والتآلف والتآزر ، والله المستعان . (ابن جريس) .

يذهب من شارع آخر لثلا يقابله ، فإن قابله قبل رأسه من قبيل الاحترام والتوقير^(١) . ولا يعكر هذه العلاقات سوى المعارك بين شباب حي الدرب وحي قنبر ، فالمضاربات قائمة على قدم وساق ، وهي على سجال ، فمرة ينتصر شباب الدرب ، وأخرى ينهزمون ، وأسلحتهم الحجارة والكراييج ، ويا ويله وسواد ليله إن مرّ واحد من شباب الحي في الحي الآخر ، إذ سيناله من الضرب والخطب الشيء الكثير^(٢) . وقد نشبت معركة بين مدرسة ومدرسة الأبناء ، حصل سنة (١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) تقريباً بين طلاب مدرسة الخالدية ومدرسة الأبناء ، فسالت الدماء، وفي اليوم التالي حضر مدير مدرسة الأبناء ومعه مجموعة من الطلاب الجرحى ، وجرت المقابلة مع مدير مدرسة الخالدية ، وهو (ابن عظيمان)^(٣) ، رحمه الله تعالى ، فقام بجولة على الفصول ومعه طلاب مدرسة الأبناء ، فهدد وتوعد ، واستخرج كبار الطلبة الذين كانوا السبب في المعركة ، ولا أدري ما فعل بهم .

ومن صور العلاقات الاجتماعية أن أهل الحي أو الشارع يتعارفون رجالاً ونساءً ، فالرجل يصحب الأبناء في الصلاة وفي الزيارات ، وكذلك الأمهات حين يقمن بالزيارات أو النزهة فإنهن يصطحبن البنات ، وهذا يزيد من فرصة التعارف ، وليس كما يحدث اليوم ، فنرى الأم تقوم بمفردها بزيارة الجيران ، حتى هذا الجانب في نطاق محدود ، ففقد الناس معرفة بعضهم البعض إلا في بعض المناسبات المحدودة^(٤) .

(١) هذا ما عرفناه وعاصرناه في نواح عديدة من منطقة عسير خلال العقدين الأخيرين من القرن (١٤هـ / ٢٠م) .

(ابن جريس) .

(٢) أسباب حدوث مثل هذه الصراعات ناتج عن الصدامات العشائرية التي عاشتها الجزيرة العربية خلال القرون الماضية المتأخرة . والوثائق التاريخية مليئة بالأحداث والمشاحنات والصراعات التي كانت قائمة بين القرى والعشائر والبطون في منطقة عسير وغيرها من جنوبي البلاد السعودية .

(٣) حبذا إيراد ترجمة مختصرة لهذا المعلم . (ابن جريس) .

(٤) أيام جميلة عاشها الأوائل وبخاصة في أبواب التعارف والتكاتف والتآلف والتآزر . وهناك آلاف الوثائق التي تدور في مثل هذه العادات الاجتماعية الجيدة ، حبذا أن يتخذ أحد طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد هذا الموضوع عنواناً لأطروحته في درجتي الماجستير أو الدكتوراه ، مع إيجاد مقارنة عن كيف كان المجتمع في هذه الجوانب وكيف أصبح اليوم . (ابن جريس) .

ومن أجمل الصور التي عرفتھا ما جرى عليه بعض رجال خميس مشيط ممن يحسنون القراءة أن كل واحد منهم يجمع أولاده بعد صلاة العصر أو بعد المغرب فيقرأ عليهم ما تيسر من كتاب (رياض الصالحين) أو غيره من الكتب المفيدة^(١).

٣- المساجد:

كأي مدينة أو قرية إسلامية فإن مدينة خميس مشيط عامرة بالمساجد ذات العمارة المتواضعة، فلا زخرفة ولا نقوش، حتى فرش المساجد لا يزيد عن بضعة حنايل ومن تحتها الرمل أو الطبطب من الإسمنت، ولعل المسجد الجامع الواقع وسط المدينة هو الذي تميز بعمرانه وبلاطه، وقد بُني من جديد سنة (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، وقد كان قبل ذلك من الطين، حيث بناه سعيد بن عبد العزيز بن مشيط، أما تجديده عام (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) فقد تم عن طريق مؤسسة ابن لادن بتوجيه من الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود، وكان إمامه الشيخ سعيد بن عياش رئيس المحكمة الشرعية بخميس مشيط منذ سنة (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)^(٢). وجماعة المسجد تتألف من سكان الحي أو بضعة شوارع قريبة منه وكلهم — أي جماعة المسجد — من المواظين على الصلاة في المسجد في سائر الصلوات، وقلما يتخلف أحدهم إلا لعذر شرعي، أو لعدم وجوده، وبعد صلاة العصر يتحلقون في فناء المسجد المفروش بالرمل، ويزجون وقتهم بالأحاديث المتفرقة وغير ذلك، وفي نفس الفناء يجتمع أولادهم، فينشأ من ذلك الألفة والمحبة والطاعة لله تعالى. ويبادر جماعة المسجد فور

(١) أعلام مدينة خميس مشيط خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) جديرون بالدراسة، وقد أشرنا إلى بعضهم في كتابنا: من رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية (محمد أحمد أنور)، وفي كتب أخرى عديدة عن منطقة عسير. أما قضية التربية والتعليم في الخميس فهو أيضاً موضوع هام وجدير، ونأمل أن نرى أحد الأكاديميين في أقسام التاريخ أو التربية أو المناهج في جامعة الملك خالد فيدرس محور التعليم في هذه الحاضرة العسيرية الحيوية. (ابن جريس).

(٢) تاريخ المساجد في المملكة العربية السعودية من الموضوعات الهامة جداً والجديرة بالبحث والدراسة، وهذه مسؤوليات الجامعات ومراكز البحث العلمي، ومساجد مدينة خميس مشيط وغيرها من مدن جنوبي السعودية تستحق أن يفرد لها دراسة علمية أكاديمية موثقة. (ابن جريس).

الأذان إلى المسجد ، فيقرأون القرآن ، ولهم دوي كدوي النحل ، ويكون الإمام بينهم ، فلا مقصورة أو مدخل خاص بالإمام كما نراه اليوم^(١).

ومن المساجد الحديثة حينذاك مسجد (النملة) بحي الدرب ، ثم مسجد (الضيافة) شمال مبنى المحافظة الجديد الآن (١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م)، وأقيمت في مسجد النملة أول حلقة لتحفيظ القرآن سنة (١٣٩١هـ / ١٩٧١م) تقريباً ، واسم المدرس (عيسى) وهو باكستاني الجنسية فيما أظن . وكانت تقام في المسجد الجامع في وسط البلد محاضرة دعوية كل يوم خميس بين المغرب والعشاء ، ومن أذكر من المشايخ الذين يقيمونها الشيخ سعيد بن مسفر، والشيخ البيحاني ، وغيرهما^(٢). وفي حي العتبان الذي يقع في نطاق حي الهميلة كان (مسجد العتبان) الذي أنشئ سنة (١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) تقريباً على نفقة (حمد الطعيمي رحمه الله تعالى)^(٣). وكان أول إمام له الشيخ (عون بن محمد مُعَبَّر) ثم تولى إمامته الشيخ (سعيد بن مشيب) رحمهما الله تعالى ، وتميز الشيخ سعيد بخطب الجمعة التي يتناول فيها القضايا الاجتماعية بأسلوب جذاب ولغة رفيعة ، بل يتناول فيها قضايا العالم الإسلامي ولاسيما أحداث سوريا سنة (١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) ، وكان له درس أسبوعي كل يوم أحد بعد المغرب^(٤). وقد أعيد بناء هذا المسجد وأطلق عليه (مسجد المهجرتين) على نفقة (سعيد بن زريّب). وفي حي قنبر (مسجد قنبر) وكان إمامه الشيخ (مبارك الدوسري) وكان

(١) عادات وأعراف جميلة عرفها المجتمع العسيري ، وهي بحاجة إلى تدوين ودراسة وتحليل . (ابن جريس) .
 (٢) تاريخ الدعوة في منطقة عسير جدير بالبحث والدراسة وبخاصة خلال القرن (١٤هـ / ٢٠م) ، والعقود الأولى من هذا القرن (١٥هـ / ٢٠-٢١م) . نأمل أن نرى أحد الأكاديميين أو طلاب الدراسات العليا في جامعة الملك خالد فيفرد دراسة مستقلة لمثل هذا الموضوع الهام . (ابن جريس) .

(٣) حينذا إيراد ترجمة لهذا العلم . (ابن جريس) .

(٤) هناك العديد من الدعاة الذين عرفتهم منطقة عسير خلال القرنين (١٣-١٤هـ / ١٩-٢٠م) ، حينذا أن نرى أحد الباحثين الجادين فيدرس تراجم لأولئك الإعلام . وللمزيد انظر: كتاب : شذا العبير ، للشيخ هاشم النعمي (مطبوعات نادي أهما الأدي ، ١٤١٥هـ) ، ص ١٠ وما بعدها . (ابن جريس) .

لديه مكتبة خاصة عامرة بالكتب، ويرتادها طلبة العلم، ويتم خلال هذه الزيارات القراءة في أحد الكتب^(١).

ولا يغيب عن ذهني (مسجد نورة) بنته امرأة اسمها (نورة) وأظنها شهرانية، وكان خارج العمران حينذاك، فهو الآن أمام نفق خميس مشيط قبل محلات الغروي، وكان الذهاب إلى مدينة أبها أو العائد منها يصلي فيه إذا حانت الصلاة وهو بقربه، وقد أعيد بناء هذا المسجد، وحمل اسماً غير اسم (مسجد نوره) وهذا شيء مؤسف فعليها رحمة الله تعالى^(٢). أما مصلى العيد فكان موقعه مكان المدرسة المتوسطة الثانية للبنين بحي الضباط، ثم انتقل إلى جهة الجنوب الشرقي من نادي ضحك، وكان العيد يحمل الفرح والسرور، ولا تجد أحداً — إلا نادراً — لا يقوم بالمعايدة من الرجال والنساء، والكبار والصغار، فلا نوم أيام العيد، بل البهجة والسرور، وهو ما نفتقده اليوم^(٣).

٤- العمران :

حين زار فؤاد حمزة مدينة خميس مشيط سنة (١٣٥٢هـ/١٩٣٢م)، ووصف عمراتها نجده يصف العمران القروي أو الريفي، فقد كانت خميس مشيط حينذاك مجموعة من القرى التي يغلب عليها نمط العمران الطيني، ويمثل هذا النمط مرحلة أولية استمرت حتى سنة (١٣٧٠هـ/١٩٥٠م) أو بعدها تقريباً، فقد حدث تطور في أنماط العمران، حيث ظهرت المنازل الشعبية التي لا تزيد — في الغالب — عن (٢٠) متراً طولاً في (١٠) أمتار عرضاً، ومواد البناء المستعملة (الطوب) حيث يبلغ طول الطوبة الواحدة (٣٠) سم في

(١) عرفت منطقة عسير خلال القرنين الماضيين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) بعض المكتبات الخاصة، ومثل هذا الموضوع جدير إلى أن يصدر عنه كتاب علمي توثيقي. (ابن جريس).

(٢) منطقة عسير لا تخلو من النساء الشهيرات في مجالات الرفعة والإسهامات الخيرية. ونأمل من إحدى طالباتنا في برامج الدراسات العليا بقسم التاريخ في جامعة الملك خالد أن تبحث عن النساء اللاتي كان لهن جهود حسنة ومعروفة في أسرهن ومجتمعاتهن. (ابن جريس).

(٣) عادات العيد قديماً جميلة بعكس أعراف العيد اليوم التي أصبحت باهتة والتي لم يصبح لها الطعم والأنس والفرحة التي كان يعيشها الأوائل أيام أعيادهم. (ابن جريس).

عرض (١٢) سم ، وبارتفاع (١٠) سم ، وتُسقف المنازل بالخشب، ولا يخلو أي منزل في الغالب من فناء (حوش) ويتكون المنزل من دور واحد فقط ^(١).

ويبدأ بناء المنزل بحفر أساسات بعمق لا يزيد عن أربعين سنتيمتراً ، ثم يبنى الأساس بالحجارة ، وبعد أن يصبح في مستوى الأرض يبدأ البناء بالطوب ، ويكون الباب الخارجي من الحديد ، أما الأبواب الداخلية والنوافذ فمن الخشب ، وربما يكون الباب الخارجي من الخشب ، ويوجد في المنزل خزان للماء يستوعب نحو (١٠) طن ، وليس في المنزل سوى حمام واحد وإن زاد فحمام آخر ، والمنازل الشعبية خالية من المبالغت العمرانية ، وتُدهن بعد ذلك بالاستنمبر ^(٢) أو غيره من الدهانات المتوافرة ، وفي أسفل الجدار على ارتفاع متر واحد تدهن هذه المساحة بلون مغاير للون الجدار من أعلى وتسمى (الوزرة) أما الأرضيات فيتم طبقتها بالإسمنت المخلوط مع الرمل ، وتتم إنارة كل غرفة بمصباح كهربائي واحد، وتتلاصق المنازل الشعبية بعضها ببعض دون ارتدادات ^(٣).

وجرى الاصطلاح على تسمية (الأرض) للمساحة (٤٠٠) متر مربع ويمكن تقسيمها (نصف أرض) (١٠×٢٠م) ، أو ربع أرض(١٠×١٠م) ووجدت بعض المنازل المبنية بالتسليح (الإسمنت والحديد) ولكنها محدودة .

وبعد سنة (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) تقريباً ظهر نمط العمران المسلح مع إنشاء صندوق التنمية العقارية ، والمساحات المقبولة لدى الصندوق (٢٠×٢٠م) أو (١٠×٢٠م) ، وكانت

(١) للمزيد عن تاريخ العمارة في منطقة عسير ، انظر: غيثان بن جريس . عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ- جدة : دار البلاد للطباعة ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ، ص ٣٧-٥٨ ، للمؤلف نفسه ، بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر . (جدة : دار العويفي ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) ، ص ٢٣-٧٦ . (ابن جريس).

(٢) حبذا تعريف هذا المصطلح . (ابن جريس) .

(٣) ازدهام وتلاصق المنازل قديماً ناتج عن فقدان الأمن في البلاد ، بعكس اليوم عندما ساد الأمن في البلاد، وزاد المال في أيدي الناس فتراهم توسعوا في منازلهم وتفرقوا في مواطنهم ، حبذا أجرى دراسة مقارنة عن كيف كان الناس في مساكنهم قديماً وكيف أصبحوا اليوم . (ابن جريس) .

المنازل ذات أنماط متقاربة لكون العمالة من جنسية واحدة تقريباً ، من اليمن بالذات^(١). وبدأت الألفية (الأحواش) تحتفي مع هذا العمران الجديد ، وظهرت المنازل ذات الدورين أو الثلاثة أحياناً ، وأصبحت الوحدات السكنية (الشقق) سمة غالبية على كثير من المنازل . ثم ظهر طراز معماري مختلف ، فكانت العمارات ذات الأدوار المتعددة (خمسة أدوار فما فوق) ومن أولها تقريباً عمارة ابن حمود التي كان جزءاً كبيراً منها مؤجراً للمحكمة الشرعية. وكذلك المنازل التي تتميز بالاتساع في جميع غرفها ومرافقها ، وتنوع زخارفها ، بل أصبحت المساحات للأراضي المستخدمة للبناء تصل إلى (٦٠٠م^٢) و (٩٠٠م^٢)^(٢).

وقد رافق بناء المنازل الشعبية طراز آخر من المنازل المقامة من الخشب وألواح الزنك المعروفة بـ (الصنادق) وترتكز هذا الطراز في شرق المدينة وبالذات في حي (العزيزية) الآن ، وتم ذلك فيما أظن منذ سنة (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) تقريباً ، حتى أصبح حياً كبيراً أطلق عليه حي (الصنادق) ، فكان أحدهم يختار الموقع ثم يقيم عليه الصندقة مكونة من غرفتين أو ثلاث ، ويأتي أحدهم فيقيم إلى جواره صندقة أخرى ، وكانت الشوارع ضيقة ، عرض بعضها لا يزيد عن ثلاثة أمتار ، وبعض الشوارع غير نافذة ، وجرى إعادة تنظيم الحي في التسعينيات تقريباً ، ومنح بعضهم أراض في مواقع أخرى ، وبقي بعضهم بعد التنظيم^(٣).

٥- التعليم :

شهدت مدينة خميس مشيط سنة (١٣٥٩هـ/١٩٣٩م) أول مدرسة حكومية ، وهي (المدرسة السعودية) وسُميت فيما بعد بمدرسة (مسلمة بن عبد الملك) ، وحين نزلنا

(١) تاريخ الأبيدي العاملة والوافدين على مجتمع جنوبي المملكة العربية السعودية من الموضوعات الجديدة والهامة ، والتي لم تدرس بطريقة علمية أكاديمية . نأمل أن نرى الباحثين في جامعات : الملك خالد ، وجازان ، ونجران ، والباحة فيهتموا بمثل هذه الجوانب البحثية الهامة . (ابن جريس) .

(٢) تاريخ التطور العمراني في منطقة عسير وما جاورها من بلدان المملكة العربية السعودية جدير بالبحث والدراسة والتحليل . (ابن جريس) .

(٣) لقد شاهدت هذه الصنادق في مدينة خميس مشيط وغيرها من قرى ومدن جنوب البلاد السعودية خلال تسعينيات القرن (١٤٠١هـ/٢٠٠١م) . وأنواع العمارة في عسير وجازان ونجران والباحة جديرة بالدراسة التاريخية الحضارية ، وهذه مسؤوليات الباحثين والجامعات الموجودة في هذه المناطق . (ابن جريس) .

خميس مشيط سنة (١٣٨٦هـ/١٩٣٩م) تقريباً كانت مدرسة مسلمة بن عبد الملك في ميناها الحكومي وسط البلد ، الذي أصبح الآن مقراً لمكتب الإشراف في محافظة خميس مشيط . ثم (المدرسة الخالدية) في حي الدرب سنة (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) ، ومدرسة الأبناء ، وهذه الأخيرة خاصة بأبناء الجيش. وكان في مدرسة مسلمة بن عبد الملك تساهلاً من بعض المعلمين ، فوسيلة الضرب ضعيفة جداً ، فقد درست فيها حتى بداية الصف الثالث الابتدائي ، وكان أكثر الطلاب في صفي لا يجيدون أبسط عمليات الحساب وهي الضرب أو القسمة ، فلما انتقلت إلى المدرسة الخالدية كانت هناك (سودة) وهو اسم عصا لأستاذ الرياضيات (محمد عثمان) ورأيت طلاب الصف الثالث يحفظون جدول الضرب فحفظته في أسبوع ، وأصبحت الرياضيات من أسهل المواد على جميع الطلاب، ولا أنكر جهود الأستاذ (محمود أسعد) في مدرسة مسلمة بن عبد الملك، ولكنه لم يدرسنا^(١).

وفي المدرسة الخالدية (محمد الدقاق) مدرس العلوم ، الذي يقوم بإجراء الكثير من التجارب العلمية في الفصل ، وبأدوات يصنعها بنفسه ، ويكلف الطلاب بإجراء التجارب . وهناك من الأساتذة الذين أفادونا علماً بشتى الطرق الممكنة ، فإن حرن الطلاب اشتغلت العصا، ومنهم علي بن عبد الله جرشي ، وأحمد أبو مسمار ، ومحمد سلمان ، وغيرهم^(٢).

وكانت مدرسة الخالدية في مبنى مستأجر لصاحبها (ابن حريش) . فإذا نزل المطر لقينا منه داخل الفصول نصيباً وترقبنا بفرحة صدور التعليمات للخروج إلى منازلنا . وبحوار المدرسة دكان صغير أظن صاحبه (ابن محروس) ، وكان يبيع فيه (الخلاوة الطحينية) وهي أول معرفتنا بهذه الخلاوة ، فكان الطالب يشتري بالقرشين أو بأربعة قروش ، ثم يأكلها وكأنه حاز الدنيا من لذتها^(٣).

(١) للمزيد عن تاريخ التعليم في منطقة عسير ، وبخاصة في مدينة خميس مشيط ، انظر: غيثان بن جريس ، القول المكتوب ، ج ٢ ، ص ١٩ وما بعدها ، للمؤلف نفسه ، تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤ - ١٣٨٦ هـ/١٩٣٤-١٩٦٦م) . (جدة : دار البلاد للطباعة ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ، ص ٥١ وما بعدها .

(٢) رواد التعليم الحديث في منطقة عسير جديرون إلى تدوين تراجمهم ، وهذه مسؤولية الباحثين الجادين أمثال ابن معبر ومن هو على شاكلته .

(٣) تاريخ مدينة خميس مشيط الاقتصادي مهم جداً ، حبذا أن نرى أحد طلابنا في قسم التاريخ . بجامعة الملك خالد فيتخذ مثل هذا الموضوع عنواناً لرسالته في درجتي الماجستير أو الدكتوراه . (ابن جريس) .

٦- الملابس وأدوات الزينة:

ليس هناك اختلاف يذكر في ملابس الرجال منذ سنة (١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م) ، فالثوب الأبيض أو الملون وتحت الملابس الداخلية ، وفوق الرأس شماغ أو غترة بيضاء ، وكان العقال محدود الاستعمال ، وربما زاد الرجل بلبس المعطف (الكوت) فوق الثوب ، أو المشلح (البشت) في نطاق ضيق . أما النساء فثوب الكُرْتة ، أو الثوب العسيري المزند ، والشوال ، والشيلة غطاء للرأس ، والمسفع الأصفر للبنات كغطاء للرأس ، وبعض النساء يلبسن المسفع من تحت الشيلة^(١).

ثم حدث التطور والتعدد في الملابس مع إنشاء العمائر الثلاث في وسط البلد ، وهي في الركن الشمالي الغربي من المسجد الجامع ، وفيها عشرات المحلات التي تشتمل على أنواع كثيرة من الملابس للرجال والنساء والأولاد ومجمع الخياطين اليمينيين لملابس الرجال . ومما ذكره البائع الجوال بالأقمشة النسائية الذي ينادي أثناء مروره في الشوارع بكلمة (فَرَقْنَا) فيخرج بعض الأولاد بناءً على طلب أهلهم فينادونه بنفس كلمته (فَرَقْنَا تعال)^(٢). أما أدوات الزينة فكانت محدودة جداً ، وفي مقدمتها المصوغات الفضية ثم الذهبية ، وللبنات (البزليك) وهو سوار دقيق من النحاس ، و (الوحيد) وهو عقد من خرزات منظومة في خيط يعلق في الرقبة . ولعل أول محل لأدوات الزينة هو المسمى (الذوق الرفيع) في عمارة ابن نابت على شارع الثلاثين .

٧- وسائل النقل:

حين نزلنا خميس مشيط سنة (١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م) رأيت العربات التي تجرها الحمير ، وهي عبارة عن مسطح من الخشب طوله (٢) متر تقريباً في عرض متر وأربعين سم ، وتحتها عجلتان من إطارات السيارات ، وارتفاع مسطح الخشب (١٢٠) سم عن الأرض ، وفي مقدمته عمودين من الخشب وهما متوازيان في شكل أفقي ، ويثبتان على ظهر الحمار ،

(١) للمزيد عن اللباس والزينة في منطقة عسير ، انظر ، ابن جريس ، عسيرة (١١٠٠-١٤٠٠هـ)،

ص ٦٥-٧٤) ابن جريس .

(٢) تاريخ التجارة في مدينة خميس مشيط خلال القرن (١٤هـ / ٢٠م) موضوع جدير ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية في أحد الأقسام الجامعية الأكاديمية . (ابن جريس).

وشاهدت عربة بأربع عجلات يجرها بغل ، ولم أشاهد غيرها^(١) . وكانت العربات التي تجرها الحمير منتشرة في خميس مشيط ، بخلاف مدينة أبها التي لم أشاهدها فيها . أما السيارات فكانت قليلة جداً ، بحيث ترى بعض الشوارع خالية من السيارات . ومن أشهر أنواع السيارات الموجودة حينذاك : (١) الجيب الياباني . (٢) الجيب الروسي ، وكان لدى التاجر أحمد الغروي ، وآخر لدى الشيخ سعيد بن عياش رئيس محكمة خميس مشيط . (٣) البيجو طراز (٤٠٤) . (٤) الجيب اللاند روفر الإنجليزي . (٥) الفولكا الروسية . (٦) الفورد ، وهي سيارة نقل .

وأخذت أنواع السيارات وأعدادها تتزايد ببطء ، وجاءت سنة (١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م) وما بعدها حيث تزايدت بسرعة وتعددت أنواعها ، وأذكر منهم صلاح السوداني الجنسية ، وكان يقوم بإصلاح السيارات ووزن أذرعها وإطاراتها أمام منزله بحي الدرب ، ثم قامت محلات إصلاح السيارات على جانبي الشارع العام ، وبعدها معارض السيارات حتى موقع الإشارة المرورية عند فندق (ميركيور) الذي يقع أمام مبنى المحافظة الجديد ، والمعارض هي منتهى العمران حينذاك ، وانتقلت محلات إصلاح السيارات بعد عام (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) تقريباً أو بعده إلى الصناعية القديمة التي حل مكانها الآن (١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م) المحكمة العامة ومستشفى الولادة^(٢) .

وكان الطريق الوحيد المزفت طريق أبها — خميس مشيط ، أما الشوارع في الأحياء فكانت ترابية ، ولايزيد عرض الشارع عن عشرة أمتار . وتراوح أجرة العربات التي تجرها الحمير من ربع ريال إلى نصف ريال وتصل أحياناً إلى ريال واحد حسب الحمل والمسافة . أما أجرة الراكب الواحد في السيارة من خميس مشيط إلى أبها في سنة (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) وما قبلها وبعدها فهي ريال واحد في سيارة (البيجو) أما سيارات النقل والباصات فهي نصف

(١) تاريخ النقل والمواصلات في منطقة عسير منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/ ٢٠م) حتى الآن موضوع جيد ويستحق إلى أن يكون عنواناً لرسالة دكتوراه ، أو كتاب علمي يقوم به أحد الأكاديميين في جامعة الملك خالد . (ابن جريس) .

(٢) تاريخ المهن والحرف الصناعية في خميس مشيط موضوع يستحق أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير في أحد الأقسام الأكاديمية وبخاصة في العقود الثمانية الأخيرة . (ابن جريس) .

ريال، وكذلك إلى أحد رفيده^(١). أما النقل الجوي فكان عبر المطار الذي يقع شرق مدينة خميس مشيط، ويسمى الشارع المؤدي إليه (شارع المطار)، وليس هناك سوى صالة طولها نحو (٣٠) متراً في عرض خمسة عشر متر تقريباً، ويجتمع المسافرون في حي الدرب، ثم تنقلهم الحافلات إلى المطار، ولا أعلم تحديداً تاريخ إنشاء هذا المطار إلا أنني أذكر أننا سافرنا منه سنة (١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م) إلى جدة^(٢). وفي سنة (١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) أو (١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) أنشئ مطار أهما الإقليمي الحالي، وقد عملت فيه منذ سنة (١٣٩٩هـ حتى ١٤٠١هـ - ١٩٧٩-١٩٨٠م).

٨. المكتبات :

ربما ظهرت المكتبات التجارية في خميس مشيط بعد سنة (١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م) تقريباً، وذلك حسب ما أذكره، وما تسعف به التواريخ المدونة على بعض الكتب التي اقتنيتها من بعضها^(٣). وسأذكر من هذه المكتبات ما يلي:

١- مكتبة حسنون: ولا زالت في موقعها منذ سنة (١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م) وكانت تباع القرطاسيات وبعض الكتب والمجلات، ثم أصبحت منذ زمن طويل مختصة بالقرطاسية. وقد اشترت منها كتاب (تعليم الصلاة) لمؤلفه الشيخ محمد محمود الصواف، بمبلغ ريالين، في طبعته الحادية عشرة سنة (١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م)، وأثبت على غلافه الداخلي تاريخ الشراء وهو (١٣٨٩هـ / ١٩٧٩م).

٢- مكتبة الأزهر: وكان موقعها إلى الجنوب من المسجد الجامع، وهي الآن (١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م) في الجهة الغربية منه. واشترت منها كتاب (الترغيب والترهيب) للحافظ المنذري

(١) الأجور والرواتب في مدينتي أهما وخميس مشيط خلال المائة سنة الماضية موضوع يستحق أن يكون عنواناً لرسالة علمية أكاديمية. (ابن جريس).

(٢) للمزيد من التفاصيل عن تاريخ المواصلات بأنواعها (برية وجوية) في منطقة عسير منذ منتصف القرن الهجري الماضي حتى الآن. انظر: غيثان بن علي بن جريس. أهما حاضرة عسير (دراسة وثائقية) (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م)، ص ٤١٩-٤٢٩. (ابن جريس).

(٣) للمزيد عن الكتب والمكتبات انظر رسائل إبراهيم بن محمد بن فافع في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج ٢، ص ١٩ وما بعدها، وللمزيد أيضاً انظر كتاب: من رواد التربية والتعليم في المملكة (محمد أنور)، (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م)، ص ٢١ وما بعدها (ابن جريس).

(ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م) في طبعته الأولى سنة (١٣٨١هـ/١٩٦١م) ، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . وسجلت عليه تاريخ الشراء ١٢/٥/١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) . وفي هذه المكتبة تعرفت على روايات الدكتور نجيب الكيلاني (ليالي تركستان) و (عذراء جاكرتا) و (عملاق نيجيريا) وغيرها^(١) .

٣- مكتبة باوزير: وهي من أقدم المكتبات القرطاسية ، ومعاصرة لمكتبة حسنون ، ولكنها توسعت في جلب الكتب والمجلات ، وقد اقتنيت منها الكثير من الكتب والمجلات منذ سنة (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) .

٤- مكتبة الكواكب : وقد تكون أقدم المكتبات على ما أذكر ، وكانت تهتم بالمجلات بشكل لافت للنظر .

٥- مكتبة الأندلس: لصاحبها الصحفي بصحيفة (الجزيرة) ثم رجل الأعمال (ظافر بن نملان) حيث افتتحها سنة (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) تقريباً ، وكانت حافلة بالكتب والروايات والقصص.

٦- مكتبة الوعي الإسلامي .

وبعد سنة (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) انتشرت المكتبات بكثرة، ولا يغيب عن ذهني مكتبة صغيرة ، لا تحمل اسماً، وكانت تقع في سوق خميس مشيط بين محلات مختلفة البضائع، إلى الشمال من المسجد الجامع وسط البلد ، وكانت حافلة بالكتب القديمة والحديثة ، وقد بدأت صلتي بها منذ سنة (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) تقريباً ، وصاحبها رجل من اليمن لا أذكر اسمه.

وفي سنة (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) أنشئت (المكتبة العامة) التابعة لوزارة المعارف حينذاك، فكانت الفرحة العظمى ، وأصبحت من روادها منذ فتحت أبوابها حتى كتابة هذه الأسطر. وما دمت في حديث المكتبات فإن هناك (الأدوات المدرسية) ، فقد كانت طلبات المدارس قليلة جداً فهي كما يلي: (الحقيبة ، الدفاتر ، القلم الرصاص ، المحواة ، البراية ، المسطرة ، كراسة الرسم ، الألوان) ، وتزيد في الصف السادس الابتدائي وما بعده (علبة

(١) تاريخ الكتب والمكتبات في أما وخميس مشيط منذ منتصف القرن الهجري الماضي موضوع جدير بالدراسة ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة علمية أكاديمية . (ابن جريس) .

الأدوات الهندسية) . فلا طلبات زائدة ترهق أولياء الأمور ، فالمهم التعليم وليس المظاهر . ومن المكتبات الخاصة التي عرفتها في خميس مشيط : (١) مكتبة الشيخ سعيد بن عياش ، رئيس المحكمة الشرعية . (٢) مكتبة الشيخ أحمد الأسمرى ، القاضي بالمحكمة الشرعية . (٣) مكتبة الشيخ مبارك الدوسري . (٤) مكتبة الشيخ عبد الله بن محمد مُعَبَّر ، كاتب العدل بخميس مشيط . (٥) مكتبة الشيخ سعيد بن مشيب ، إمام مسجد العتيبان (مسجد الهجرتين) حالياً . ولا يعني هذا عدم وجود غيرها^(١) .

٩- الرياضة والألعاب الشعبية :

يمكن القول — بطبيعة الحال — أن كل السكان في خميس مشيط من الرياضيين ، فالمشي ديدهم يومياً ، إلى المسجد والسوق ومكان العمل والزيارات وغير ذلك ، فالسيارات نادرة ، ولا يركبونها إلا في المسافات الطويلة . والأولاد لا تقيدهم أجهزة التلفاز والحاسوب ، فهم في انطلاق مستمر وحركة دائبة ، ويذهبون إلى مدارسهم سيراً على الأقدام . وبذلك يندر فيهم السمن والترهّل ، ولا مكان للكسل ، وهذه داعية الأسقام والمرض . حتى أغلب ألعابهم ورياضاتهم تعتمد على الحركة ومنها (العُبَيَّا) ، حيث يغمض أحدهم عينه ويتجه نحو الجدار ، ويختفي بقية رفاقه ، ثم يصيح أحدهم صيحة تدل على اختفائهم ، فيتحرك للبحث عنهم ، فإذا قبض على أحدهم فهو الفائز ، وعلى المقبوض عليه الدور في غمض عينه وهكذا^(٢) . ومنها لعبة (البرجون) وهي لعبة ثنائية تعتمد على كرات زجاجية ، توضع إحداها على الأرض ، ويقوم أحدهما بضرها بكرة أخرى من مسافة معينة لا تقل عن متر ونصف المتر ، فإذا أصابها فإنه يأخذها ، وهكذا .

(١) عرفت خميس مشيط مكتبات خاصة قبل هذه المكتبات التي أشار إليها ابن معير ، والأستاذ محمد أحمد أنور أشار إلى العديد منها . وتلك المكتبات السابقة وهذه المكتبات المشار إليها في هذا البحث وغيرها جديرة بالبحث والدراسة . نأمل من الأستاذ محمد معير أن يفرد لها دراسة مستقلة تؤرخ لبداية كل مكتبة ثم مآلها خلال العقود الهجرية الماضية المتأخرة . (ابن جريس) .

(٢) الألعاب الرياضية ووسائل التسلية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع جديد وجيد ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية . (ابن جريس) .

ومن ألعاب البنات ما يسمى (البربر) حيث يقمن برسم مستطيل على الأرض ، ويقسمنه على ثمانية مربعات ، ثم ترمي إحدهن حجراً فإذا وقع الحجر في أحد المربعات تقوم بالقفز على رجل واحدة من مربع إلى آخر ، وعليها القفز من فوق المربع الذي استقر فيه الحجر إلى المربع الذي يليه ، فإذا قفزت على أحد الخطوط أو قفزت في المربع الذي فيه الحجر فقد خسرت ، وتقوم إحدى زميلاتها بممارسة اللعبة من جديد . ومن ألعابهن (الزقرة) وهي تعتمد على الحركة السريعة وهن جلوس ، ومكونات اللعبة خمس قطع من الخصى تضعها على الأرض ، وترفع الخامسة في الهواء ، وقبل أن تهوي إلى الأرض تلتقط واحدة من الأرض ثم تلتقط الحصاة التي أرسلتها في الهواء قبل سقوطها على الأرض ، ثم ترسلها وتلتقط اثنتين من على الأرض وهكذا حتى تلتقط الأربع جميعاً^(١)

ومن ألعاب البنين (الدثينا) وهي إطار معدني ، يدفعه صاحبه بعضا معكوفة الرأس ليكون مجرى للإطار المعدني . ومن رياضاتهم صيد العصفير بالمنطاب ، وهو عبارة عن أداة من الخشب ينتهي أعلاها بفرعين يثبت في طرفيهما حبل من المطاط ، ويوضع الحجر في منتصف الحبل ، ويُسحب في الاتجاه المعاكس لمكان العصفور ثم يُطلق . وكذلك صيد الجراد إذ يقوم أحدهم بإحضار سلك رفيع ، ثم يقوم بإمساك الجراد ويدخل السلك في منتصف جسمها ، وهكذا يمتلي السلك بنحو خمسين إلى ستين جرادة تقريباً ، وربما استعمل كيساً يضع الجراد فيه ، ويتم شواء الجراد على الحمر ، أو طبخه في الماء . ومن رياضاتهم السباحة في الغدران . وما أكثرها ، ولعدم وجود الملابس الرياضية فإن طلاب المدارس يمارسون الرياضة بملابسهم (الثياب) أو يخلعونها ويكتفون بالملابس الداخلية ، وحين قدم صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بعد تعيينه أميراً لمنطقة عسير أقام أهالي خميس مشيط احتفالاً في الساحة التي تقع شمال المسجد الجامع وسط البلد ، وشارك طلاب المدارس في الاستعراض ، ومنها (المدرسة

(١) لقد شاهدنا العديد من الألعاب الرياضية التي كان يمارسها الرجال وكذلك الشباب من البنين والبنات ، وجميعها اليوم انقرضت وهي جديرة بالبحث والتدوين حتى يرى جيل اليوم الموروث الرياضي الذي عرفه آبائهم وأجدادهم . (ابن جريس) .

الخالدية) وهم بملابسهم الداخلية ، وبعض هذه الملابس كلون التراب من القدم ، وأغلبهم يلبسون الشيشب (الزُنوبَة) ، وهطل المطر فلاذوا بالفرار وللشباشب طرقة وفرقة^(١) .

١٠. الأسواق والتسوق :

جاء اسم مدينة خميس مشيط من إضافة اسم يوم السوق (الخميس) إلى أسرة آل مشيط التي كانت تتكفل بحماية السوق منذ سنة (١١٨٢هـ/١٧٦٨م) تقريباً ، ويقع السوق بين حي (الدرب) و حي (قنير) أي شمال المسجد الجامع ، وأطلق عليه (مَوْجان) للحركة التجارية فيه ، وقد استمر يؤدي وظيفته بشكل منفرد حتى ظهور المحلات التجارية^(٢) . ومن أقدم التجار أصحاب المحلات التجارية : (١) محمد بن فايع الألمعي . (٢) سعيد بن مبطي . (٣) أحمد الغروي . (٤) أحمد الشرعي . (٥) حنش الغامدي . (٦) سالمين الحضرمي ، وكانت له بقالة في أبها قبل سنة (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) تقريباً وغيرهم ممن لا أذكرهم الآن^(٣) .

وقد أدى وجود معسكرات الجيش في شرق مدينة خميس مشيط في (الحي الراقي) وما حوله إلى حيوية ونشاط الحركة التجارية ، وقد كان أحمد الغروي من أهم المتعهدين لهذه

(١) نشكرك يا أستاذ ابن معبر على هذا الرصد الجميل ، وكم نحن في حاجة إلى تدوين تاريخ وموروث أهلنا الاجتماعي والحضاري في عسير وما جاورها من المناطق مثل: الباحة ونجران ، وجازان ، والقنفذة ، والجامعات القائمة في هذه النواحي عليها مسؤوليات عظيمة تجاه سكان هذه البلاد فتدرس تراثهم وحضارتهم وعاداتهم وأعرافهم ، وتعمل على اطلاع أجيال اليوم على موروثات أهل هذه الأوطان في الماضي . (ابن جريس) .

(٢) وكان يُطلق على هذا السوق (سوق خميس شهران) ثم أصبح يعرف بسوق خميس مشيط . وللمزيد انظر: غيثان بن جريس ، القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج ٢ ، ص ٤٦-٤٨ . (ابن جريس) .

(٣) لقد سمعت عن هؤلاء التجار منذ أكثر من ربع قرن ، ونأمل من الأستاذ ابن معبر أن يفرد دراسة مستقلة عن التجارة والتجار في خميس مشيط، وإن فعل ذلك فسوف يقدم لنا معشر الباحثين خدمة جليلة . (ابن جريس) .

المعسكرات بالمواد الغذائية^(١). وبعد سنة (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) انتشرت المحلات والبقالات في كثير من الأحياء .

وكان ارتياد الناس للأسواق نادراً بالقياس مع يومنا هذا ، فكان رب المنزل يذهب مرة في الأسبوع إلى السوق ومعه (العَلَّاقِيَّة) ذات طول (٦٠) سم تقريباً ، وفي عرض (٤٠) سم تقريباً ، بعروتين متقابلتين في أعلاها ، ولا تمتلئ دائماً ، وربما امتدت زيارة التسوق إلى مرة واحدة في الشهر، فطلبات المنزل قليلة جداً . ولذلك كانت أدوات المنزل قليلة جداً ، ولاسيما أدوات المطبخ ، فليس إلا بضعة قدور وصحون ، ودلة قهوة ، وبكرج ، وبراد الشاي ، وطباخة أو دافور وبعض الأدوات الأخرى ، وليس هناك الثلاثة أو القرن . ولو انتقلت أسرة من منزل إلى آخر فسيارة واحدة تكفي لنقل الأثاث والأدوات دفعة واحدة^(٢) .

١١- تربية الماشية :

احتفظت القرى داخل خميس مشيط بطبيعتها السابقة في تربية الماشية ولاسيما الأبقار والأغنام ، ففي المنازل أماكن مخصصة لذلك ، واتجه سكان المنازل الحديثة من غير أصحاب القرى إلى تجهيز أماكن لتربية الماشية والغالب عليها تربية المعز المعروفة بالمصرية وغيرها كالضأن. وهم يطلقونها صباحاً في الخلاء والشوارع دون راعٍ يهتم بها، ثم تعود بنفسها عند الغروب، ويشترى لها البرسيم والعلف. وقد اشترى والذي مجموعة من المعزي المصرية سنة (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) واستمرت معنا حتى عام (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، وكنا نذبح منها ، ونحلبها، وهذا هو حال كثير من الناس حينذاك.

(١) كان لإنشاء مدينة عسكرية في خميس مشيط دور كبير في تطور مدينة خميس مشيط وازدهارها وتزايد النشاطات الاجتماعية والاقتصادية فيها . (ابن جريس) .

(٢) تاريخ المنازل منذ عمارتها إلى تأثيثها وتزنيها موضوع يستحق أن يُفرد له بحث أو رسالة عملية أكاديمية. ومن يقارن عمارة البيوت اليوم بما كانت عليه سابقاً فسوف يجد بون شاسع وكبير بين الماضي والحاضر. (ابن جريس) .

وأخذت تربية الماشية في الانقراض تدريجياً ، ولاسيما مع ظهور المباني الحديثة منذ بدأ صندوق التنمية العقارية في منح القروض السكنية سنة (١٣٩٦هـ) تقريباً، فقد انحسرت الأحواش التي يمكن إيواء الماشية فيها ، حتى القرى التي دخلت في نطاق مدينة خميس مشيط ، واعتمد الناس على شراء اللحم من الجزارين ، وظهرت الألبان المصنعة. وكانت مَجَلَبَة الماشية (أي سوقها) تقع شمال الساحة الواقعة شمال المسجد الجامع حتى سنة (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) تقريباً ، ثم نقلت إلى الموقع الذي يقع شمال محطة النقل الجماعي ، أي شمال حي (الصمدة) ، ثم نقلت بعد (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) تقريباً إلى موقعها الحالي على طريق وادي ابن هشبل^(١) .

١٢- المتنزّهات :

كانت مدينة خميس مشيط غير محتاجة إلى اصطناع متنزهات ، فقد كانت الأمطار تهطل بغزارة ، فتجعل الأرض خضراء أينما اتجه النظر، إضافة إلى كون المنازل ذات أفنية بعضها مزروعة بالأشجار ، فتكون متنفساً لأهل المنزل ، فلا يحتاجون إلى الذهاب إلى المتنزهات الطبيعية ، إضافة إلى العلاقات الاجتماعية الحميمة ، فأهل كل حي أو شارع يتزاورون باستمرار^(٢) . وإذا رغبت الأسرة في النزهة فالمسافة قريبة إلى المتنزهات الطبيعية من جبال وأودية، وبعض أهالي خميس مشيط يطلقون على الرحلة للنزهة اسم (كِرْمِيَّة) ولا أعلم الآن أصل هذه التسمية. وكان الجبل المطل على شارع الملك فيصل حالياً وعلى فندق (ميركيور) وفوقه الآن منزل أسرة (العطاف) ، أقول كان هذا الجبل مكاناً جميلاً للنزهة ، فترى النساء وأولادهن من الأحياء المجاورة يذهبون إليه بعد صلاة العصر، ومعهن دلال القهوة وبرادات الشاي ، فيمكنن فوقه مع أولادهن إلى قبيل المغرب. وكانت (العَمَّارة) وواديها في الشمال الغربي من المدينة من أجمل الأماكن للنزهة ، فالبحيرات الصافية ، والأشجار الخضراء تملأ المكان

(١) تاريخ تربية الحيوانات موضوع هام وجدير بالدراسة ، وهذه المهنة كانت تُمارس في السابق على نطاق واسع ثم تلاشت وانقرضت . نأمل أن نرى أحد طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد فيتخذ مثل هذا الموضوع عنواناً لأطروحتة . (ابن جريس) .

(٢) لقد أشار الأستاذ / محمد أحمد أنور في مواطن عديدة من رسائله إلى جمال طبيعة خميس مشيط خلال الستينيات والسبعينيات من القرن (١٤٠٠هـ/٢٠م) . (ابن جريس) .

، إضافة إلى جبل العَجمَة المُطلَّ على العَمَّارة من غربيها ، وحوله بحيرة كبيرة ، وأماكن صالحة للرحلات البرية^(١). وهناك مواقع كثيرة في جنوب المدينة وشرقها ، وكلها ذات بهجة وجمال. وفي سنة (١٤٠١هـ/١٩٨١م) تقريباً أنشئت (قرية باحص السياحية) على طريق (خميس مشيط — أبها) لصاحبها محمد بن عبد الرحمن باحص ، وكان فيها حديقة رائعة تم تجهيزها بجلسات غاية في الذوق ، ويتبعها ثمان دارات (فيلات) تتكون الواحدة من دورين ، وتُعد هذه القرية أول متنزه اصطناعي في مدينة خميس مشيط^(٢) .

١٣. الإدارات الحكومية^(٣) :

١- الإمارة : أنشئت سنة (١٣٤٥هـ/١٩٢٦م) ، وكان أول مقر لها في بيت من الطين بجي الدرب، ومع صدور نظام المحافظات سنة (١٤١٥هـ/١٩٩٥م) تحولت إلى محافظة، وأصبح يتبعها من المراكز ما يلي : (أ) مركز وادي ابن هشبل. (٢) مركز تندحة. (ج) مركز يعري . (د) مركز المضة. (هـ) مركز خيبر الجنوب. (٢) البلدية : أنشئت سنة (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م). (٣) الشرطة : أنشئت سنة (١٣٦٢هـ/١٩٦٢م)، وكانت تسمى (مفوضية الشرطة) ويطلق على رئيسها (المفوض).ومن أشهر رؤسائها عبدالقادر شقदार. (٤) الدفاع المدني : أنشئ سنة (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م). (٥) السجن: أنشئ سنة (١٣٦٢هـ/١٩٤٢م). (٦) المورور: أنشئ سنة (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م). (٧) الأحوال المدنية: أنشئت سنة (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م). (٨) المحكمة الشرعية: أنشئت سنة (١٣٦٠هـ/ ١٩٤٠م) ، وكانت تضم : (المستعجلة) و(كتابة العدل) وقد انفصلت كتابة العدل عن المحكمة سنة (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م). (٩) مكتب الزراعة والمياه: أنشئ سنة (١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م). (١٠) هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أنشئت سنة (١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م) .

(١) المصدر نفسه . (ابن جريس) .

(٢) من يقارن بين منتزهات منطقة عسير اليوم ، وما كانت عليه في الماضي يجد تطوراً ملموساً في الحدائق والجمعات السياحية السكنية وغيرها من المرافق . وكون البلاد العسيرة أرض جميلة ، بخلاف أي ناحية في المملكة العربية السعودية ، فلازالت تحتاج إلى جهود أكبر حتى تصبح في مصاف المناطق السياحية العالمية . (ابن جريس) .

(٣) الإدارات الحكومية في خميس مشيط بحاجة إلى دراسة موسعة منذ نشأتها ثم تطورها إلى الآن ، ونأمل من محافظة خميس مشيط أن تتعاون مع أحد الباحثين الجادين من أجل إخراج دراسة علمية تاريخية أكاديمية عن المؤسسات الإدارية في هذه الناحية. (ابن جريس) .

ومن طرائف الألقاب الوظيفية أنهم يقولون : الأمير : ويريدون به الأستاذ عبد العزيز ابن سعيد بن مشيط أمير خميس مشيط حينذاك^(١) . القاضي : ويريدون به الشيخ سعيد بن عياش، رئيس المحكمة الشرعية . الكاتب : ويريدون به الشيخ عبد الله بن محمد معبر ، كاتب العدل بخميس مشيط . الريس : ويريدون به الشيخ عبد الله العكاسي ، رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بخميس مشيط .

ومن قضاة المحكمة الشرعية الشيخ أحمد الأسمرى ، وكان ممن رحل في طلب العلم إلى بلدة (المراوعة) ومدينة (زبيد) في اليمن ، ولا يحمل مؤهل كلية الشريعة : ومنهم الشيخ أحمد فقيه : قاضي المستعجلة بالمحكمة ، والشيخ مريف الربيعي خريج المعهد العالي للقضاء . ومن أشهر رؤساء بلدية خميس مشيط الأستاذ إبراهيم البليهي ، وكان حينها منتسباً في كلية الشريعة بالرياض ، وله أثر حميد في أعمال البلدية ، وهو الآن من كبار الكتاب ، وله مجموعة من المؤلفات^(٢) .

١٤- الإنارة والكهرباء :

كان (الفانوس الهندي) و (الإتريك) العماد الرئيسي في إضاءة المنازل ، وذلك في حدود سنة (١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م) تقريباً ، والفانوس أقدم في الاستعمال من هذا التاريخ ، ثم ظهرت مؤسسة لتقدم الخدمة الكهربائية في خميس مشيط لصاحبها (ابن مقرمش) وهي التي أذكرها ، إذ كنا نرى الأسلاك معلقة في الجدران ، أو مطروحة في الأرض ، وكانت الإضاءة داخل المنزل محدودة ، وفي حدود الحاجة ، فمصباح واحد لكل غرفة^(٣) .

وفي سنة (١٣٩١هـ / ١٩٧١م) تأسست شركة كهرباء خميس مشيط وضواحيها برأس مال قدره (٥،٣٠٠،٠٠٠) ريال ووصل عدد المشتركين في سنة (١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م)

(١) كان اسم الأمير يطلق على كل من يتولى ناحية إدارية من قبل الدولة ، والوثائق مليئة بالتفصيلات عن الأمراء الذين تولوا مناطق عديدة في منطقة عسير . ومنذ عام (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) أصبح اسم الأمير لا يطلق إلا على أبناء آل سعود فقط . وأصبح يطلق على حاكم كل ناحية محافظ وهو يرأس العديد من رؤوس المراكز . (ابن جريس) .

(٢) حبذا أن يقوم الأستاذ محمد بن معبر بإخراج كتاب عن أعلام محافظة خميس مشيط خلال القرن (١٤هـ / ٢٠م) ، وإن فعل ذلك فسوف يسدي إلى الباحثين وأرباب القلم صنيعاً كبيراً . (ابن جريس) .

(٣) تاريخ بناء المنازل قديماً وإضاءتها وأثاثها موضوع يستحق البحث والدراسة . (ابن جريس) .

نحو (٣٠٠٠) مشترك . وكان القائم بعمل الإدارة (حسن بن محمد علوان) حتى بداية شهر ربيع الأول سنة (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) ، ثم تولى منصب مدير عام الشركة الشيخ (سعيد بن علي بن مشيط) منذ (١/٣/١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م) حتى استقالته في (١/٢/١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م). وقد أصبحت شركة كهرباء خميس مشيط إحدى وحدات الكهرباء في (الشركة السعودية للكهرباء بالمنطقة الجنوبية) سنة (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) تقريباً^(١) .

١٥- المياه :

كانت الآبار في خميس مشيط المصدر الرئيس للمياه ، فتجلب إلى المنازل بواسطة القرية (أو (الزفة) ، ولا سيما المنازل القديمة المبنية من الطين ، أما المنازل المبنية من الطوب فقد اشتملت على خزانات أرضية ، ولكن البعض استمر في جلب المياه العذبة بواسطة القرب ووضعها في وعاء كبير (حَفِيَّة) لغرض الشرب والطبخ ، ويتم رفع الماء من الخزانات الأرضية بواسطة (طُلْمَبَة) يدوية ، ثم بواسطة (الدينمو) حين وصلت الكهرباء. وكان (الوايت) وهو من الحجم الصغير(٨-١٠) طن تقريباً يكفي المنزل لمدة طويلة ، ويعود ذلك إلى عدم الإسراف، وعدم ظهور الاستعمالات المتعددة للماء كما يحصل الآن^(٢) . وتعتمد خميس مشيط في تغذية آبارها على واديين هما (بيشة) و (عتود) والأول من أكبر أودية المملكة ومن أطولها ، وينبع من سفوح جبال السراة ، ويخترق بلاد عبيدة ورفيدة ثم بلاد شهران ، وله تسميات متعددة حسب البلاد التي يخترقها ، فيقال له في أحد ريفدة (بيشة ابن سالم) وفي خميس مشيط (بيشة ابن مشيط) وفي وادي ابن هشبل (وادي ابن هشبل) . أما (عتود) فيأتي من عقبة عتود ويخترق خميس مشيط موازياً لوادي بيشة حتى يلتقي معه في شمال المدينة . وكان عرضهما كبيراً بالقياس لوضعهما الحالي ، ولا ينقطع جريان الماء فيهما إلا لفترات محدودة^(٣) .

(١) للمزيد عن تاريخ الكهرباء في منطقة عسير ، انظر ، ابن جريس ، أما حاضرة عسير ، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ، ص ٤٠٥ - ٤١٥ . (ابن جريس) .

(٢) للمزيد عن تاريخ مياه الري والشرب في منطقة عسير انظر: ابن جريس ، أما حاضرة عسير ، ص ٤١٥-٤١٩ . (ابن جريس) .

(٣) المصدر نفسه. (ابن جريس) .

ومن الآبار المشهورة على وادي بيشة بئر مشيط ، وبئر الهدية ، وبئر الدويح ، وبئر نبتة ، وبئر أبي ملححة ، وبئر ابن حسان. وعلى وادي عتود : بئر ابن سويد ، وبئر ابن ناصر ، وبئر ابن خرصان ، وبئر ابن عضرس . وبعد إنشاء مدينة الملك فيصل العسكرية حُلب لها الماء بواسطة الأنابيب سنة (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) تقريباً من العمارة الواقعة في الشمال الغربي لمدينة خميس مشيط . وفي سنة (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) أنشئ (سد وادي عتود) في جنوب خميس مشيط ، وطوله (٣٤٠) متراً ، وارتفاعه (٢٢) متراً، وسعته التخزينية (٦،٤٠٠،٠٠٠) متر مكعب^(١) .

الثالث : رأي وتعليق :

هذه الدراسة الموجزة خلاصة تجربة عاشها صاحبها في مدينة خميس مشيط منذ عام (١٣٨٦-١٤٠٠هـ / ١٩٦٦-١٩٨٠م) ، ونأمل أن يعيد النظر فيها فيوسعها حتى تخرج في هيئة كتاب علمي تاريخي ثقافي ، كما نتمنى أن نرى أمثال ابن معبر فيدونوا ما تحتزنه ذكرياتهم وعقولهم عن بلادهم أو مدتهم أو قراهم وبخاصة في العقود الماضية المتأخرة. ومن عاش وشاهد الأحداث التاريخية والحضارية للبلاد السعودية منذ خمسينيات القرن (١٤/٢٠٠) إلى وقتنا الحاضر فإنه لا ريب عرف وسمع ورأى التغيرات في شتى المجالات ، ومنها ذا إيجابيات كثيرة في الجانب المادي والتنموي ، وأخرى سلبية في الجوانب المعنوية والاجتماعية والقيمية والأخلاقية .

ونحن أبناء هذه الفترة الزمنية (١٣٥٠-١٤٣٤هـ/١٩٣٠-٢٠١٣م) علينا مسؤولية كبيرة فيجب أن نستخلص الدروس والعبر من حياة السابقين ، وما مرت به البلاد من سلب وإيجاب خلال هذه العقود الماضية المتأخرة ، ومن ثم نربط الماضي بالحاضر ، وننقل لأبنائنا وأحفادنا ما عاشه الأوائل وما كابدوا من متاعب حتى أصبحنا نعيش في هذا الخير الوفير الذي من به الله على هذه البلاد^(٢) .

(١) تاريخ الزراعة والري والمياه في منطقة عسير من الموضوعات الهامة والجديرة بالبحث والدراسة . نأمل من الباحثين والأكاديميين في أقسام التاريخ والجغرافيا والزراعة في جامعاتنا السعودية أن يولوا مثل هذا الموضوع كبير اهتمام . (ابن جريس) .

(٢) جامعات الجنوب السعودي (الملك خالد) والباحة ، وجازان ، ونجران) عليها مسؤوليات تجاه أهل هذه البلاد فتشئى المراكز البحثية المتخصصة التي تخدم أرض وسكان هذه الأوطان ، بل تعمل على تشجيع الباحثين الجادين في خدمة أوطانهم وأهلهم وبني جلدتهم . (ابن جريس) .